المقاومة العراقية ورهان التجربة الفيتنامية؟

28-11-2003

فالمقاتلون العراقيون يدركون في الغالب أنهم لن يكونوا قادرين على سحق الاحتلال العسكري الأمريكي في العراق. ورغم ذلك، فهم يدركون أيضا أنهم إذا استمروا في قتل وإعاقة الجنود الأمريكيين، فستكون فضية مطالبة الجمهور الأمريكي بعودة القوات الأمريكية وممارسة الضغط السياسي على إدارة بوش القضية مسألة وقت فقط.

إن قوة الوسائل العسكرية الأمريكية تبدو ضعيفة عندما تواجه جمهورا أمريكيا مرتابا بشكل متزايد، ذلك أن عنده (الجمهور) الإمكانية لإجبار واشنطن على أن تسحب القوات الأمريكية من العراق، فالجمهور الأمريكي عامل حاسم في قلب موازين الأوضاع والقوى، وقد اعتبر المؤرخ الأمريكي البارز بول كندي أن الرأي العام المحلي بما يمثله من ثقل معنوي هو أحد العوامل الثلاثة الرئيسة في انكماش "الإمبراطوريات" والقوى العظمى وسقوطها. وفي فيتنام, واجهت واشنطن مأزقا مشابها، إذ كانت هناك قوات مقاتلة منظمة تقاوم الولايات المتحدة وتمنع تمركز الجيش الأمريكي في فيتنام الجنوبية..وكانت التكتيكات المقاتلة المؤثرة لحركة المقاومة الفيتنامية "فيت كونج" والجيش الفيتنامي الشمالي، استراتيجية عسكرية بحد ذاتها، استهدفت إضعاف الإرادة السياسية في أوساط الجمهور الأمريكي، وكان هذا معروفا في ذاك الوقت وكثيرا ما أفصح عنه الرئيس الأمريكي جون إف كينيدي في خطبه. وإدراكا منه لأهمية الرأي العام الأمريكي في التأثير على خطط ومواقف الإدارة, عمل جيش الشمال والجنوب وكذا الزعماء العسكريون والمقاتلون الفيتناميون على إضعاف واشنطن، وجاء هجوم المقاومة الفيتنامية (هجوم Tet) الضخم على أزيد من 100 مدينة في فيتنام الجنوبية في 31 يناير 1968 –بنجاح الاقتحام واحتلال السفارة الأمريكية في سيجون- لتحقيق هذا الغرض، حيث دُبر بعيد ادعاء الزعماء العسكريون والسياسيون الأمريكيون أن الحرب في فيتنام أوشكت على الانتهاء. وفي النهاية تحول الرأي العام الأمريكي ضد التورط العسكري الأمريكي في فيتنام, إذ إنه اكتشف انعدام المصداقية بين كلام واشنطن وما يجري على أرض الواقع. ومن ثم، أثبتت إستراتيجية مقاتلي المقاومة الفيتنامية نجاحها, ويبدو كأن مقاتلي المقاومة في العراق يتبعون الإستراتيجية نفسها. والمعارك الحديثة للمقاومة في أفغانستان والشيشان ضد الاتحاد السوفيتي والاتحاد الفيدرالي الروسي تزود سوابق تاريخية لجدوى مثل هذه الطرق القتالية. فالمقاتلون العراقيون يدركون في الغالب أنهم لن يكونوا قادرين على سحق الاحتلال العسكري الأمريكي في العراق. ورغم ذلك، فهم يدركون أيضا أنهم إذا استمروا في قتل وإعاقة الجنود الأمريكيين, فإن مطالبة الجمهور الأمريكي بعودة القوات الأمريكية وممارسة الضغط السياسي على إدارة بوش، ستكون مسألة وقت فقط. ومن الواضح أن المقاتلين العراقيين نجحوا إلى حد ما في تحقيق هذا الهدف. فطبقا لاستفتاء شعبي أجرته شبكة أخبار سي بي إس التلفازية ونشرته في 13 نوفمبر, فإن 50 في المئة فقط من الأمريكيين يعتقدون أن إزالة صدام حسين كان يستحق خسارة الحياة الأمريكية والتكاليف الأخرى لمهاجمة العراق. وإذا استمرت خسائر القوات الأمريكية في التصاعد، فإن هذا يمكن أن يعرض فرص إعادة انتخاب الرئيس بوش للخطر، وإذا لم يُصَوت على بوش لعهدة رئاسية ثانية في عام 2004, فإن إستراتيجية إدارته في العراق قد تغادر البيت الأبيض معه.

لذلك, ستكون إستراتيجية مقاتلي المقاومة العراقية شن هجمات مستنزفة وذات صدى كبير في صفوف القوات الأمريكية وقوات التحالف, مثل الهجوم الذي استهدف نائب وزير الدفاع الأمريكي بول وولفويتز في مقر إقامته في فندق الرشيد في بغداد، والاستهداف الأخير للمروحيات الأمريكية أيضا جزء من هذه الإستراتيجية، حيث إن كل هجوم ناجح يمكن أن يسبب ضحايا أكثر بكثير من معظم الأساليب القتالية الأخرى. كما أن الهجمات بالقنابل على القواعد الرئيسية تستهدف أيضا سحب بساط الثقة الدولي والمحلي من الاحتلال الأمريكي، وكبح جماح الدول الراغبة في إرسال قوات عسكرية لمساعدة القوات الأمريكية، وإلحاق أكبر حجم من الخسائر بقوات التحالف.